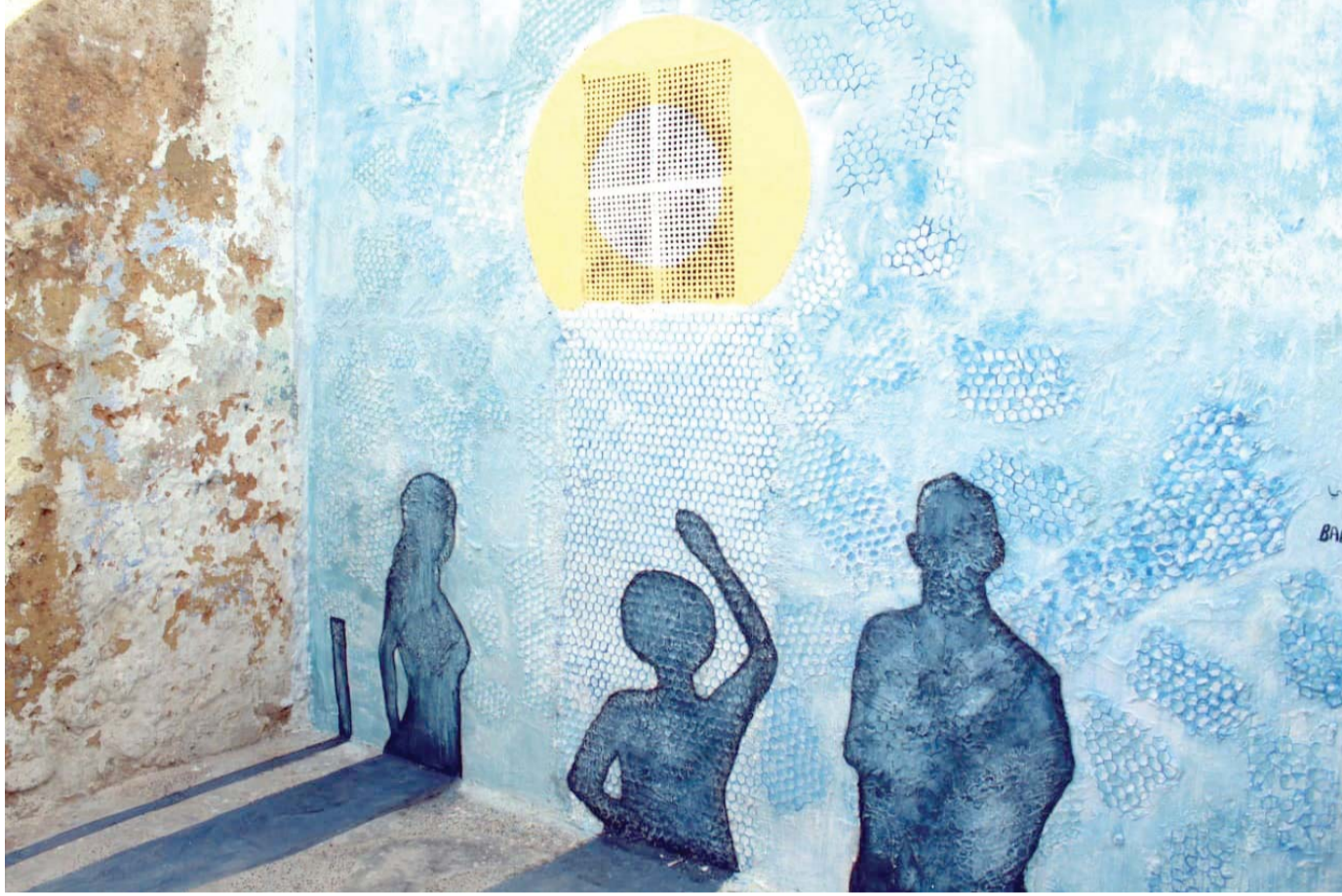


الفن وسيلة لفهم ما لم يستطع العقل معالجته

فنانون تصدوا للأزمات بشجاعة المقاتلين من أجل الإنسان



الفن منقذ البشرية في الأزمنة الصعبة

الجداريات بمشاركة 14 فنانا من جيل المدعين المغاربة كوسيلة للتعاوي من تداعيات الجائحة. قطع فنية مثيرة للتفكير وهي تركيب غامر يحاكي جودة الحياة وتحذ لكافة أشكال الإحباط والموت البطيء، في سلسلة من الألوان المترابطة بكثير من الدقة والأناقة، حتى وإن غاب الزوار عن المدينة فهذا لا يعني عدم استشعار سكان المدينة عقب تلك الجداريات واللوحات، ولا بد أن تصل تلك النضجات إلى المتذوقين عبر الفضاء الإلكتروني، خصوصا وأن فقدان الجمهور كان كارثيا على الفضاءات والمعارض الفنية باكملها انتقلت إلى الساحة الرقمية ما يعطيا فكرة واضحة عن ضرورة صناعة الفن في أوقات الأزمات.

انتشار فيروس كورونا تسبب في بقاء جل الفنانين في بيوتهم لكن جلهم لم يقطعوا علاقتهم بالرسم والألوان، تجربة مرت منها شغلة الخراز، الفنانة التشكيلية المغربية، عندما ساهمت بفن الجداريات في مدينة أصيلة، وما الجداريات عندها سوى نبض آخر لمساعدة زوار المدينة في التغلب على اكتئاب كورونا وطرد الطاقة السلبية بعمل تشكيلي فني يسعدهم، لذا قررت رسم جدارية بمساعدة ابنتي؛ إيمان وياسمين.

الفن هو فعل إيماني يمكننا من التماهي مع الحياة بكل مأسيتها وغيوبها، وهو فعل يمكن من تحسينها من خلال إبداع شيء جديد يغير من وضع العالم، هناك من ليس متأكدًا من أننا سنعود إلى ما كانت عليه الحياة قبل بضعة أشهر فقط، لكن اليقين الغالب أن الفنانين سيظلون جزءًا أساسيًا من أي جديد نبتكره، وهذا ما دفع الفنان المغربي معاذ الجباري إلى أن يبدع بإلباس المونتاليزا للإيطالي ليوناردو دا فينشي، كمامة واقية، وهو ما يعكس الوضع الحالي الذي يعيشه العالم، حسب فهمه خاصة أن إيطاليا كانت أكثر دول العالم تضرا من هذا الوباء الفتاك.

وإذا كان الفن يسمح لنا بفحص ما يعنيه أن نكون بشرا وأن نتكلم وأن نعتبر عنهم وأن نجتمع بين الناس والأفكار، فقد أطلقت مجموعة من الفنانين البحرينيين الذين شاركوا في فعاليات سابقة من منتدى أصيلة الثقافي الدولي، مبادرة افتراضية برسم جدارية افتراضية مشتركة تعبيرا عن دعمهم للجهود التي تقوم بها مؤسسة منتدى أصيلة لاستمرار نشاطها رغم الظروف التي فرضتها جائحة كورونا. وتأتي المبادرة تأكيدًا من البحرينيين على أهمية استمرار العمل الثقافي والفني لنشر رسائل المحبة والمودة والتعايش بين الشعوب.

جديد، وأوجد علاقة جديدة بين الموضوع والعالم الذي ينطوي على لقاء وجهها لوجه ونظرة جديدة بينكها الفنان قد تكون علاقة أيديولوجية جديدة بالطبيعة والإنسان. وعليه من الصعب فهم حجم حالة الطوارئ الصحية التي نواجهها، أو مدى تغير حياتنا اليومية، دون الاعتراف بما للفن من قدرة على محاكاة المستوى المعيشي للإنسان وإثارة عواطفه التي يمكن أن تعطينا معرفة عميقة ليس من السهل تجاهلها. وعليه يعتقد بعض النقاد، أن جميع الأشكال الفنية لديها القدرة على مساعدتنا في رؤية أعقق وربطنا بقوة أكبر مع الواقع من حولنا في هذه الأوقات، كما يمكن أن تكون قدرة الفن على قول الحقيقة بهذه الطريقة جد متقدمة.

أصيلة تتحدى بالألوان

هذا وقت لتقدير الفنون بجميع أشكالها ومنها الجداريات على اعتبار ما يحدثه الفن من فرق في كيفية عيش حياتنا، حيث تخلق الفنون العافية في حياتنا اليومية من خلال مساعدتنا على معالجة حياتنا بشكل فردي والسماح للفن التواصل عن بعد وتوليد حالة من الإيجابية والتقدير والأمل خلال الأزمات وفي أوقات الاضطرابات لكونه يركز على الأصوات والرسائل المهمة. ولم تكن أزمة كورونا إلا حافزا آخر لإبقاء مدينة أصيلة المغربية على المحيط الأطلسي، وفيه لتراثها الفني والثقافي الذي يمتد لعود طويلة، بإقدام القائمين عليها بسلسلة من التظاهرات الفنية المنظمة من قبل مؤسسة "منتدى أصيلة" بين 15 و31 يوليو الماضي، ومنها الصباغة على

فالصورة والكلمة المكتوبة، تكون الطريقة الوحيدة التي يمكن للفنانين والمبدعين من خلالها نشر معاني الارتباط والتضامن والتعاون المفروض أن يعيشه الناس في جميع أنحاء العالم، ويضحي بذلك الفن منفذا شاملا للتجربة الإنسانية ومثارة أمل وتغيير إيجابي مفتوح للجميع. بينما يصبح العالم مستنقعا من القلق والخسارات المتعددة، يتفق الفنانون على أنه من المهم قضاء بعض الوقت في التعرف على كل أشكال الفن وللمساهمة في الإبداع داخل غرفة المعيشة أو المكتب أو على سطح المنزل وحديقته؛ باستخدام قلم الرصاص وصفحة بيضاء، لترسم صورة لكلب جارك أو كأس شاي أو قطعة، أو قم بعمل منحوتة من الطين مع أطفالك أو أشقاقتك، أو حتى تصفح مواقع الفن المتاحة على الإنترنت.

إن الفن بكل أشكاله إبداع شخصي وخلق واقع يدعم دوما الحالة الإيجابية في فترة الأزمات حيث يواجه الفنانون حول العالم مصدر إلهام جديد وغير محتمل كوعاء للحرية، وبالتالي لا تفرض الأزمة ما يمكن تسميته الإغلاق العقلي فهي تتيح الوقت لاستمرارية الإبداع على أوسع نطاق. قبل فايروس كوفيد - 19 كانت أزمة تلوث المناخ تلقي بظلالها الثقيلة على حياة البشرية، كانت سببا في خروج مظاهرات ومسيرات مناهضة للاستغلال المفرط للطبيعة، وضد الشركات الصناعية التي لوثت الأرض والمحيطات لتخلص إلى أننا نواجه واحدة من أكبر الكوارث في تاريخ كوكبنا والتي ستتسبب في تدمير البيئة والانتقاص الجماعي، ليطرح السؤال إذن حول دور الفن في حماية الطبيعة.

الإجابة قد تكون موحدة عند جميع الفنانين بمختلف تكويناتهم ومدارسهم ومجالات اشتغالهم، بأن الفن لغة تعبيرية مشتركة تعبر عن العيش وتعمل كرافعة ثقافية وإنسانية تنقل تلقى الرسالة من حالة وجدانية ونفسية وواقعية إلى حالة أكثر تفهما وتعايشا مع متقلبات الحياة، والفن كما تراه التشكيلية سارة أحلالوم، رسالة تتلخص في ربط العلاقة بين الطبيعة وحياة الإنسان عبر العصور، فمن خلال هذا العمل الفني الذي نفذته حاولت إبراز هذه العلاقة باستحضار واحدة من عجائب الدنيا السبع "الحدائق المعلقة" كدليل قوي على العلاقة التي تربطنا بالطبيعة الأم منذ الأزل. ودائما يطرح المتلقي عند مشاهدته لوحة تشكيلية سؤال ماذا يريد الفنان أن يقول؟ واستنادا إلى إريون بانوفسكي، يبرز العالم الأنثروبولوجي الفرنسي فيليب ديسكولا، مدى أهمية اختراع المنظور الخطي في اللوحة بين اللون والنور والظل في النصف الأول من القرن الخامس عشر، كشكل رمزي

الفنون عبر الإنترنت للتواصل بشكل أعمق مع القضايا والأحداث الحالية، ويستلزم واقع الحياة وسط جائحة أن يكون للعالم الرقمي دور محوري كوسيلة مشاركة الفن والوصول إليه، سواء اعتقدنا أن هذه الحالة إيجابية أم لا، ولا شك أنه من اللافت للنظر رؤية المدى الذي نتجه فيه نحو تفضيل أدوار الفن في هذا الوقت المزعج وغير المسبوق. فعندما تكون خيارا لنا الواقعية محسودة للغاية، فإن اختياراتنا الرقمية تقول الكثير عنا، كما يثبت الفن رسيدا لا يقدر بثمن لفهم العالم والبحث عن العزاء في أوقات مرعبة كالتى نعيشها في الوقت الراهن، لهذا السبب لم تكن كورونا كازمة عالمية حائلًا دون أن تستضيف المعارض الافتراضية والمتاحف على الإنترنت إلى جانب محادثات الفنانين بجميع تشبيكاتهم ربما تكون فرصة أخرى لنهضة فنية وإنسانية وسط المعاناة.

التجربة المشتركة

يواجه الجنس البشري حاليا أكثر الأزمات حدة على نواح عدة صحية واقتصادية ونفسية، صعوبات تذكرنا بالبحرين العالميتين الأولى والثانية، ففي أوقات الأزمات كان الفن في الكثير من الأحيان وسيلة للشفاء والمرح والتفاؤل، لكن مرت أشهر منذ أن انتشر كوفيد - 19 ولا تزال المسارح في شتى بقاع العالم مغلقة، والعالم التاريخية في المدن الحضارية لا يمكن الوصول إليها، حتى صناعة الأفلام توقفت.

كل فن عظيم هو نتاج المشقة والمعاناة وانعكاسا لمرحلة أزمة حقيقية، وعليه فقد برزت لوحة بيكاسو - غرينكا - الشهيرة على نطاق واسع باعتبارها واحدة من أعظم اللوحات المناهضة للحرب الأهلية الإسبانية، كما نتجت عن الحرب العالمية الأولى السورية، والوجودية بعد الحرب العالمية الثانية، فتجربة الحرب العالمية الأولى تميزت بمرحلة من العنف الشديد والتعب وتعد من أكثر الأوقات اضطرابا في تاريخ البشرية، لكنها تجربة احتوت في ثناياها بذرة فنية قوية تمثلت في تيارات الواقعية السحرية والتعبيرية الجديدة عرفت ازدهارا كبيرا في ألمانيا التي كانت في حالة صدمة قاتلة للاقتصاد والحياة الأسرية.

أزمة كانت سببا في بروز أوتو ديكس الذي عمل جنديا في الجبهة لكنه أراد ترجمة ما عاشه في لوحات فنية حيث صور المدنيين المحطمين في شوارع برلين، مع إحساس بالألوان الداكنة التي تسيطر على كل لوحة لتعطي معنى آخر لعمله وحياته، فكان بالنسبة إليه وسيلة لفهم ما لم يستطع العقل معالجته في تجربة الحرب وطريقة للتعبير عما لا يمكن التعبير عنه.

الفن درع لمواجهة الحقائق البشعة الناتجة عن الحروب والأزمات، والاعتراف بالجمال في حياة الناس في جوهرها،

ففي اللحظات الأكثر صعوبة في حياة الناس يمكن التماس قدر كاف من الوضوح من أجل اتخاذ قرارات من شأنها الدفع بالإنسانية إلى بر الأمان في ما بعد الأزمات الإنسانية والاجتماعية والسياسية والبيئية التي يعاني منها العالم يوميا، وبالنسبة إلى العديد من الأشخاص الذين يبحثون عن مخرج، يأتي الفن كمحفز قوي للتغيير في مواجهة المعاناة.

محمد ماموني العلوي

هناك من يؤمن بإيماننا بالغا بأن للفن القدرة على تحدي قوى الشر والأزمات وتخفيف الألم، بقدر ما يمكنه أن ينتج حقائق بديلة عن الهروب، ويصبح صوتا لأولئك الذين لا يسمعون بهم أحد. نحدد تجربتنا البشرية من خلال العادات والتفاعلات الاجتماعية والأنشطة التي نخلقها ونشارك فيها، وتغذيها الفنون سواء كانت الموسيقى أو الطعام أو الفنون المرئية، لهذا نشهد تحولا متزايدا للفنون خلال جائحة كورونا على الصعيد العالمي، إذ تحولنا إلى الإنخراط في الفن كمصدر للراحة والقوة، على اعتبار أن المشاركة في الفن ومساهمته تجعلنا نتواصل مع تجربة إنسانية عالمية، سواء كان من داخل أعمال فنية بالمنزل أو الجداريات العامة أو مشاهدة المسرحيات أو الاستماع إلى الموسيقى أو الاهتمامات الجديدة في فنون الطهي، فإن الفن هو تعبير عما يعني أن تكون إنسانا.

الفن حاجة إنسانية

ليس من السهل تجسير الهوة بين الأصل والكوارث لكن صناعة الفن ومشاهدة تجلياته تتيحان فرصة لتقييم ومعالجة تجاربنا الإنسانية كما تساعدنا على التعبير وفهم العالم من حولنا وخلق فسحة من الأمل، وتاريخيا، كان البشر كانوا تعبير عن احتياجاتها ومعيشها بصريا حيث لم يسجل قديم البشر حياتهم من خلال الفن فحسب، بل استخدموا أيضا الفن للتعبير عن أنفسهم.

صناعة الفن ومشاهدة تجلياته تتيحان فرصة لتقييم ومعالجة تجاربنا الإنسانية، كما تساعدنا على التعبير وفهم العالم

الفن أداة مثبتة لتقليل التوتر، فهناك عدد من الدراسات تتناول فوائد عقلية وجسدية وروحية للأعمال الفنية، حيث إن صناعة الفن والتفاعل معه لهما تأثيرات طويلة المدى مثل تعزيز وظائف الدماغ وأنظمتنا المناعية بالإضافة إلى المساهمة بشكل إيجابي في صحتنا العقلية والعاطفية، كما يساعدنا على معالجة الصدمة والتعبير عن المشاعر الصعبة والعمل من خلال الإفادة من الاحتكاك مع التجارب. وفي وقت الأزمات عندما يفترق العالم إلى التعاطف البشري الأساسي ترتفع أسهم الفن باعتباره



الفن يصد الأزمات